المقهى كفضاء عمومي ذكوري في ولاية تيسمسيلت – حق التملك، التكريس وإعادة إنتاج الهيمنة الذكورية –

The cafe is a male public space in the state of Tissemsilt - Right to own property, Consecration and reproduction of male domination.

كرايس الجيلالي*	محمد بلغازي
باحث ماجستير، علم الاجتماع السياسي، جامعة وهران02	طالب دكتوراه علم الاجتماع الثقافي، جامعة تلمسان
kerais2014@hotmail.fr	belghazi89@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2019/09/04 تاريخ القبول: 2019/11/02

الملخص:

يمكن القول أن تقاسم الأدوار والوظائف داخل المجتمع التيسمسيلتي، الذي يمكن وصفه بالتقليدي حسب دراستنا لموضوع الماجستير، أو المحافظ، لا يزال تقسيما قائما على ثنائية الجنس، ذكر، أنثى، حيث يمكن اعتبار مجال ما خارج البيت، مجالا ذكوريا بالامتياز، حيث يحق للذكور التواجد فيه، وتضمينه خطاباتهم، وهو مهيأ لإعادة إنتاج الخطاب والممارسات الذكورية، خاصة إذ ما اشرنا إلى المقهى، والذي ينظر إليه "بورديو" على أنه مكان يعاد فيه تدوير التقليدي الضائع، حيث يعتبر المكان الذي يلتقي فيه أفراد المجتمع، لطرح قضاياهم وتناول شأنهم العام، إذ يمكن القول أن المقهى التيسمسيلتي، هو مقهى مذكر بامتياز، حيث لا يمكن لإناث المجتمع التواجد فيه، أو تحدي الذكور في خصوصيتهم، وهنا يمكن القول أن الفضاء العام الذي يعتبر ملك لكل المواطنين، قد يتحول تحت ضغط الموروث الثقافي– الشعبوي القبلي العشائري– إلى فضاء خاص بنوع اجتماعي معين، يحتكر هذا الفضاء ويوظفه في إعادة إنتاج سلطته وهيمنته الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: المقهى؛ حق التملك؛ الفضاء العام المخصص؛ الهيمنة الذكورية؛ إعادة الإنتاج.

Abstract

The sharing of roles and functions within the social community of Tissemsilt – an Algerian province-, which can be depicted as the traditional or conservative is still based on the gender factor (male/female). Therefore, the social space is outside the house considered occupied by masculine in privilege , and included speeches, which is formatted to reproduce the discourse and practices of masculinity, especially if we to the cafeteria , which is seen as Bourdieu as a place where re-traditional lost rotate. It is also

* المؤلف المرسل: كرايس الجيلالي، الإميل: kerais2014@hotmail.fr

regarded as the place where to meet members of the community, to put forward their cases dealt with general interests. It can be said that the cafeteria in Tissemsilt, is masculine privilege, where no female community presence takes place, and here we can say that the public space, which is the possession of all citizens, could turn under the pressure of inherited culture- populist tribal clan- to a special kind of social space in particular vision, has a monopoly in this space and hire him to reproduce his power and social dominance.

Key words: The cafeteria, right to own property, the general space, male domination, reproduction

محاور الورقة:

1-المقهى كفضاء للاستجمام وحتمية التثاقف

2-خصوصية المقهى كالفضاء العام وفكرة مسافة الأمان

3-القهوة فضاء مؤنث وإشكالية الذكر المهيمن

مقدمة:

لا يمكن إنكار النزعة البطركية في المجتمع الجزائري، وان الثقافة الذكورية تعتبر ثقافة محورية، يبني المجتمع وينسج حولها حياته، إذا كل شيء يبدأ بالذكر، وكل شيء ينتهي إليه، وهو الذي يحدد مجال تواجد الطرف الأخر، ويعتبر انه من حقه التواجد معه، فالأنثى في حكم القاصر مهما بلغ سنها وعلمها، ولذلك لا حيز خاص بها، فالذكر إما أن يقاسمها المكان، وإما أن يحرس المكان من بعيد، لأن بداخله أشياء تخصه، أو تابعة له.

بينما للذكر حيزه الخاص ومجاله الذي يوجد فيه وحده، ولا يحق للأنثى مشاركته فيه، أو مراقبته وحراسته، لأنه البالغ الراشد، خاصة فضاء ما خارج البيت، أو المجال الحيوي الذكوري، وهذا ما يمكن القول: أن المجتمع التيسمسيلتي لا زال يعيشه، وينتمي إليه ويتعصب له، رغم أنه قد اعترف بخروج المرأة للعمل، أو للحمام، أو للتسوق، لكن هناك فضاءات أخرى لازال يحتكرها، ويعتبرها منطقة خطر، لا يمكن أن تشاركه فيها الأنثى، فالثقافة الشعبية المحلية، تنظر إلى المقهى وكأنه عرين الرجل، ومكان تواجد الذكور، فلا يمكن أن تجد في المقهى أو القهوة بالتعبير الشعبي، ما يشير إلى الأنوثة إلا اسمها، بينما كل شيء فيها بصيغة المذكر السالم، رغم أن الدراسات الاجتماعية تعتبر المقهى فضاء عاما، وجد لاحتواء المواطن، دون تدقيق في جنسه أو لونه، أو معتقده، من أجل طرح قضاياه وانشغالاته، لكن يبدوا أن المقهى في المجتمع

التيسمسيلتي، هو فضاء لنوع اجتماعي واحد، ولطرح قضايا هذا النوع، أو حتى النوع الآخر، لكن من وجهة نظر الطرف المهيمن، وهنا يمكن طرح السؤال التالي: **كيف يتمثل رواد المقاهي من الذكور لهذا الفضاء؟ وكيف يوظفونه في إعادة إنتاج الهيمنة الذكورية؟**

الفرضية:

الخطاب السائد داخل المقهى كفضاء عام، أدى إلى نشوء ثقافة التملك الذكورية، وساهمت في إعادة إنتاجها.

تعريف بالمفاهيم:

سنعتمد في هذه الدراسة على التعاريف الإجرائية للمفاهيم، خاصة تلك التي حاولنا توليدها أو نحتها للتعبير عن خصوصية الواقع المدروس:

- **المقهى:** ونقصد به المكان الذي يلتقي فيه الرجال، ومن مختلف المستويات، ومن مختلف الفئات، بما فيهم الطلبة الجامعيون، من أجل احتساء القهوة، وفي نفس الوقت، الحديث وتناول مختلف القضايا التي تهم المجتمع، وذلك بمنطق ذكوري، أي تبادل الحوار من رجل إلى رجل، وقد تتحول فيه المرأة إلى موضوع، يتناوله الذكور وفق تصوراتهم الخاصة.
- **حق التملك:** ونقصد به شعور الذّكور، أو الرجال داخل المقهى، بأحقيتهم في التواجد داخله، باعتباره مكان مخصص للرجال، وهو مكان أيضا له منطق خاص، ونوع خاص من الحوار، لا يمكن للنساء سماعه أو المشاركة فيه، ولذلك لا يحق لهن التواجد فيه.
- **الفضاء العام المخصّص:** وهو مفهوم يتكون من جزأين، الفضاء العام وهو كما عرفه "يورغن هاربرماس ":هو ذلك الفضاء الاجتماعي، الذي يعرف تبادلات عقلانية، ونقدية، بين الذوات الفردية، والجماعية، التي تسعى إلى بلوغ حالة من التوافق حول القضايا التي تتصل بالممارسة الديمقراطية**(نور الدين، ع. 2014: 77)**
- **المخصص:** ونعني بها تحول المقهى بصفته فضاء عام، منفتح على كل المواطنين، إلى فضاء عام خاص بنوع واحد، وهم الذكور، وذلك من خلال فرض لغة خاصة، وممارسات خاصة، جعلت من النساء عنصر خارج إطار المقهى التيسمسيلتي، وهذا

يتعارض مع الفضـاء العمومي حسـب نانسـي فريزر، حيث تعتبر أن الفضـاء العام يتعارض مع المصالح الخاصة، والنقشات الخاصة **(نور الدين، ع. 2014: 85)**

- **الهيمنة الذكورية:** ونقصـــد بها امتلاك الذكور لمكانة اجتماعية، تفوق مكانة المرأة، وتجعلها تبدو في نظرهم مجرد تابع أو قاصر يلحق بالرجال، وهم من يقررون مصيره، ويتحكّمون في حياته، كما أن المجتمع يعيد إنتاج هذه العقلية، عن طريق مختلف مؤسساته، بما فيها المقهى.
- **إعادة الإنتاج:** وهي عملية يقوم بها المجتمع، للحفاظ على علاقاته، وتراتبيّته، أي جعل الأجيال الجديدة تفكر بنفس طريقة الأجيال الســـابقة، من أجل الحفاظ على العلاقات الاجتماعية القائمة، وتحديد دور كل نوع اجتماعي داخلها.
- **الاقتراب النظري:** ســـنحـاول التركيز على أعمـال "بيـار بورديو"، من خلال توظيف مؤسسات التنشئة الاجتماعية، في إعادة إنتاج النظام الثقافي للمجتمع.
- **المنهج:** لقد اعتمدنا في هذه الدراســـة على المزاوجة بين المنهج الوصـــفي والتحليلي، بحيث ســـنقوم بتوصـــيف ميدان البحث كما أننا بصـــدد معرفة التمثلات التي يحملها الفرد في ولاية تيســـمســـيلت للمقهى كفضـــاء عمومي، وهو منهج يتلاءم مع تقنية المقابلة.
- **التقنية:** لقد اعتمدنا في هذه الورقة على تقنية المقابلة الموجهة، وهي مقابلة مكونة من ثلاثة محاور متعلقة بالموضوع، بالإضافة إلى الجانب السوسيومهني للمبحوثين، وقد اخترنا هذه التقنية، بهدف التعمق في الموضوع، والبحث عن المعنى.
- **العينة:** يعتبر طلبة المركز الجامعي بمثابة مجتمع البحث لهذه العينة، كوننا اخترنا عشـرين مبحثا، بطريقة عشـوائية، من خلال المترددين على المقهى المقابل للجامعة، حيث لاحظنا تردد الطلبة من الذكور فقط، بينما لا تدخل الطالبة الى المقهى رغم دخولها الى المطاعم ومقاهي الإنترانت، وقد اكتفينا بـــــ 20 مبحوث، كوننا بصـــدد مقابلة، حيث وصلنا الى حالة تشعب في الاجابات التي اثبتت صدق دليل المقابلة.

1-المقهى كفضاء للاستجمام وحتمية التثاقف:

قبل التطرق لموضوع بحثنا بصورة علمية، نعتقد انه لابد من فهم الواقع البحثي الذي تجرى به دراستنا فبالرّجوع إلى وضع الحقل السوسيولوجي الذي ينتمي إليه هذا المفهوم، لابد أن تكون لدينا فكرة أننا في دراسة مجتمع محلي، له خصوصياته الاجتماعية، والثقافية، وما سيفرز أو ينظَر في دراستنا، يمكن أن يخلق بعض التحفُّظات، لكن لا بد من فهم أننا نحاول إعطاء صورة واضحة لمجتمع الدراسة، والنتائج أو الحيثيات، ليست بالضرورة تتوافق مع جميع التصورات، والرؤى، والاختلافات المكانية، ونحن بصدد دراسة مجتمع محلي وهذا يحيلنا إلى إعطاء تعريف ربما يستوفي الفهم، بصورة تموضعنا ضمن إطار الدراسة.

فالمحلي حسب "كلودين شولي": هو المكان الذي نعيش ونتعارف فيه ومنه يعترف بنا الآخرون، وهو القرية والبلدة والدوار ومراعيه، الحي ومبانيه، وتطلق هذه التسمية في الجزائر على مكان تجذر الفاصل، أصل القرابة الأبوية والمكان حيث يوجد الأهل والمقبرة والمكان "القبيلة أو العرش" والولي الصالح ويعطي خصوصية للمنطقة الجغرافية على نحو خاص **(شولي، ك. 2013: 89)**

إذا من هذا المدخل سنحاول إعطاء لمحة عن نظام العلاقات التقليدية المسير بطريقة سلطوية تقليدية ليس كمفهوم سلطة تعسفية إلزامية، بأدوات ردع، وإنما كاختيار للإمتثال، أو رفض الامتثال لهذا النظام، بمعنى العلاقة بين النظام المكاني "المقهى" والممثلون له بصورة جدية.

من خلال وقائع الدراسة البحثية كان لزاما علينا الالتزام بإطارنا المنهجي التحليلي للبحث وتموضعنا بصورة يمكن أن تعطينا قرائناً لإدراك حضور هذا النموذج العلائقي:

من المعلوم أن استمرار اشتغال نفس البنية الاجتماعية تحتم وجود أفراد فاعلين يفرزون نوعا من النظام الدينامي يسيرون العلاقات بين الأفراد والجماعات، وترسم صورة المواقع والأدوار التي يمثلها الأفراد داخل الجماعة، نحن نعتقد أن المقهى كفضاء عمومي ذكوري بتيسمسيلت مؤطر من طرف "مثقفين شعبويين"[1]يملكون مواقع تخوّل لهم امتلاك سلطة تثقيفية لولوج المقهى، وذلك عن طريق التنشئة، ولو نسبية في تسيير أنماط سلوكات الأفراد وتفاعلاتهم والتزاماتهم، إن هذه السلطة

[1]كبار العرش نقصد بهم أعيان العرش ووجهائه الذين يملكون سلطة رمزية وجاه داخله ويمكنهم السيطرة بها على أفراد جماعتهم.

التقليدية، سنجدها منسحبة على عينة الدراسة، المكوّنة من مجموعة من طلبة الجامعة، لكن هيمنة التقاليد، جعلت منهم مجرد، أفراد عاديين، يكررون ما يفرضه المجتمع بكل سطوة وجبروت، فالفرد داخل المجتمع، هو مجرد عضو من أعضاءٍ كثيرين، ومجرد إنسان من بين هؤلاء البشر الكثيرين، الذين يحيطون به، ممن يعرفهم ولا يعرفهم**(باومن، ز. 2016: 40)**

فسلوك الجماعة يحدث عندما يملك كل فرد التمثلات (Représentations) التي تشتمل على سلوكيات الآخرين، وعلاقاتهم وتتجمع السلوكيات الشخصية، ويكمل بعضها بعضا، فقط عندما يمثل الموقف المشترك في كل منها، وعندما تكون التمثلات متشابهة البناء، تحدث هذه الشروط وعندئذ فقط، يستطيع الأفراد أن يُخضعوا ذواتهم إلى متطلّبات السلوك المشترك، وهذه التمثلات والسلوكات هي التي تخرج حقائق الجماعة إلى الوجود، وتُحدِث ظاهرة الثبات أو تماسك(solidité) عمليات الجماعة. **(أحمد، ز. 2006: 03)** وهذا ما يجعل المقهى ذو صبغة ذكورية ملقَّنة بطريقة تفاعلية لتنمية أجيال متعاقبة، بنفس الموروث العلائقي فمحاولة الولوج إلى هذا الحقل من طرف الجنس الأخر، ينمى بطريقة لا واعية هاجس فقدان الذكورة سواء من إعطاء الأنثى الحرية في ممارسة ما هو حكر على الذكر، وهذا ما اجمع عليه المبحوثين، الذين يعتبرون المقهى مكان خاص بهم، بل أنّ لكل جماعة مقهى خاص، تتملكه، وتعتبره امتدادا لها، وتعبر فيه عن رأيها بكل أريحية، فذلك يمس بقضية مهمة وهي "الرُّجلة" كما أصطلح عليها أحد المبحثين، في حقيقة الأمر لا يمكن تسمية مفهوم مسافة الأمان بمفهوم جامع للواقع الاجتماعي الحاصل فالعلاقات بين الذّكور والإناث تمتد في أغلب الفضاءات الحيواتية الأخرى، لكن تنضبط وتتوقف عند مفهوم المقهى، فهو حكر بامتياز على الذكور، فالفضاء العمومي يقبل بعض الحدود الداخلية، لكنه يتمايز إزاء الخارج، بآفاق مفتوحة ومتحركة**(نور الدين، ع. 2014: 77)**، فالمقهى مكان يلتقي فيه النوع الواحد، لتناول القضايا العامة، لكن بخطاب واحد، يجعل من التصورات الذكورية، الحقيقة المطلقة، غير المستعدة للتعامل مع أي حقيقة أخرى، خاصة إذ كانت صادرة عن الأنثى، والتي منذ نعومة أظافرها تدفعها العائلة إلى الشعور بأنها غير مرغوب فيها وأنها غير ضرورية.**(هشام، ش. 1984: 39)**

وهنا يمكن أن نشير من خلال بحثنا هذا، أن المقهى بالمتجمع التيسمسيلتي لا ينحصر على الذكورة والأنوثة، وكإنتاجات للقبول والرفض، وإنما هو فضاء شبه تعاقدي فلا نكاد نجد من عينة

بحثنا، مبحوثا إلا ولديه مقهى خاص به ومحدد، يلجه ويمكن اعتبار هذا الشـــطر ذو دلالة ســـوســـيولوجية تحيلنا إلى مفهوم المكانة الاجتماعية، فهذه المكانة تخضـــع إلى معطيات معيَّنة، كالمستوى التعليمي الراقي، والمستوى المتدني، فالباحثون عن الإلهاء يختارون مقاهي الشعبية التي تمارس بها "الدومينو والكارطة " وهذه العيّنة هي الأكثر بعدا عن التعاطي، لمفهوم قبول الولوج الأنثوي للمقهى، فهي بمثابة المساس باعتقاد سائد محليا وهي "القهوة يدخلوها غير الرجال".

إنّ هذه النّظرة التي يمتلكها المجتمع التيسمسيلتي، حول المقهى، لم تعد حكرا على فئة معينة، بل تحولت إلى ثقافة يعاد إنتاجها، من أجل الحفاظ على التراتبية المجتمعية، التي تجعل الأنثى دائما في المرتبة الثانية، أو تابع للذكر، وهو من يحدد مكان تواجدها، بل أحيانا يقوم بتصـــنيفها في مكانة أقل من الإنســان[1] كما نجدها هي بدورها خاضــعة لهذه الســلطة، ومعترفة بها، أنها ســلطة تســـبقنا جميعا، وتفرض منطقها، غير معترفة بما نعيشـــه من تحولات، وهنا يمكن القول: <<أن اللعبة مستمرّة، بغض النظر عما نفعل>>**(باومن، ز. 2016: 153)**

أما بالنســـبة للعينة الثانية التي تقارب بين مســـتواها التعليمي وبما يجب أن تعتقده من قيم التحضّــر، والتقدّم الثّقافي، في مجموعة تحاول أن لا تُظهر رفضــها لولوج الإناث لفضــاء المقهى حيث يعلّق أحد المبحثين " هي نورمال كي تدخل المرأة للمقهى بصــح راك تعرف المجتمع نتاعنا" **(م، س: 2017/11/10)** الطرف الثاني من تعليق هذا المبحوث يشـــير إلى رفضٍ مكبوت، ذو دلالة رافضـــة للولوج إلى حقله، أما الشـــطر الأول يحاول أن يمارس نوعا من الإقناع بوضـــعيّته التعليمية المتحضـرة، وهنا يمكن القول أن المقهى قد تحول إلى فضـاء للتنشـئة الاجتماعية، حيث أن أغلب المبحثين، يدخلون المقهى أكثر من ثلاث مرات، ويلبثون داخله لعدة ســـاعات، وهذا ما جعله يتحول إلى لعب دور المؤســـســـة التعليمية، التي تهدف إلى إبقاء النظام قائما في الأذهان، وترعاه، وتحافظ على ضرورة النظام في الشارع، وفي الإقليم **(بورديو، ب. 2007: 182)** أي أن المقهى لم يعد مجرد مكان لتناول القهوة بل أصـــبح مكان يلتقي فيه ذكور المجتمع، لتكريس هيمنتهم على هذا الفضـــاء، وإعادة إنتاج نفس النوع، الخاضـــع للبنية الثقافية، غير معترف أو

[1] الحديث عن النساء داخل المجتمع، يحمل الكثير من الدونية، حيث يتعامل معهن إما على أساس انهم قاصرات، فمثلا الرجل عندما يتحدث عن زوجته يقول الذراري، وكلمة الذري تعني الطفل الصغير، أي المرأة مجرد قاصر بالنسبة للرجل، كما يعبر عنها أحيانا على أنها مجرد شيء، مثل كلمة الدار، أو المخلوقة، أو العباد، فكلمة زوجة، تعتبر خادشة للحياء، أو ذكر عورة الرجل، والمرأة أيضا هي تابع للرجل، مفثلا في الأعراس والجنائز، عندما يطلب رجل ما من نساء بيته الحاضرات، فان النداء عليهن يكون بمصطلح نتوع، مثلا قولوا لنتوع كرايس يخرجوا، وكان المرأة مجرد تابع أو شيء ملحق بالذكر، ولا هوية لها، وكل أماكن تواجدها تحدد من طرف ذكور المجتمع.

خاضــع للمتغير التعليمي، أو متغير السـن، إذ إن هناك شـبه اتفاق، على أن المقهى فضــاء عام خاص بنوع اجتماعي واحد.

2- خصوصية المقهى كالفضاء العام وفكرة مسافة الأمان:

لاعتبار المؤسـسـة الأسـرية مؤسـسـة اجتماعية، تضـمر عادات وتقاليد متوارثة، تعمل على المستوى الذهني والفكري لأفراد، وتميز كل جماعة عن أخرى، وتولي عملية التنشئة، أهمية كبيرة، حيث بالضرورة توريث نفس عادات المجتمع وتقاليده، إلى الأجيال المتعاقبة وخاصة الإناث منهم، ولا تتوقف التنشئة عند سن محددة، بل تستغرق حياة الإنسان كلها، كما أنها تعتبر ولادة اجتماعية للفرد، بعد ولادته البيولوجية، وعبر عنها **عزت حجازي:** أنها العملية التي تســـتمر مدى الحياة ويتمثل بها الفرد القيم والمعايير والرموز وطريقة السلوك التي تدخل ضمن نسق الثقافي**(عزت، ح. 1985: 41)** فعملية التنشـئة هي عملية تواصـلية، لميراث تقليدي لمجتمع أو جماعة معينة، من خلالها تتعلم المرأة تقاليد أسـرتها، النابعة من تقاليد المجتمع، كحقل دلالي يحمل مختلف الدلالات الرمزية، ويورث الاســتعدادات لامتلاك قيم خاضــعة لأعراف المجتمع، أو كما يســميها "بورديو" "الهابتيس" "ويعرفه على أنه نسق الاستعدادات المكتسبة وتصورات الإدراك والتقويم إذا هو الموجّه لســـلوكات الفرد اعتمادا على مرجعية معينة تقع في البنية الذهنية، بحيث تتحكم بقراراته بشـــكل لاشعوري.**(ستيفان، ش. 2013: 59)**

إنَّ الأسـرة تكوّن الفرد، على أن ما هو صـالح للذكر، هو غير صـالح للأنثى، وأنّ لكل نوع مكان يتواجد فيه، ولا مجال للطرف الآخر لِولوجه، كما أنَّ أماكن تواجد الذكر، غير محدودة، وأحيانا يتواجد حيث ما توجد الأنثى، أو يراقب مكان تواجدها من بعيد، لأنها بعض من ممتلكاته، أو لنقل شـــرفه، وعرضـــه، الذي يجب أن يحافظ عليه، أمّا لأنثى فمجالها جد محدود، كما أن تواجدها في المجال الذّكوري، هو بمثابة انتقالها من المقدس إلى المدنّس، حيث صـــرح أحد المبحثين، أنّ المرأة داخل القهوة هو دليل على ســـوء تربيتها، لأنها تريد أن تســـترجل**(ع، ق:2017/11/15)** وهنا الاســـترجال، لا يعني الرجلة، أو الفحولة، والذكورة، بل فقدان المرأة لأنوثتها، وتحولها إلى كيان يرفضـه المجتمع، ويمقته، إنَّ هذه النظرة أيضـا تريد أن لا تنازع المرأة الرجل في مجاله الخاص، ولا يريد أن تتعرف على منطق الحوار داخل المقهى، حيث أجمع كل

المبحوثين على أن الحوار الذي يدور داخل المقهى لا يمكن أن يدور داخل البيت، فالمقهى مكان للحديث عن السياسة، عن الاقتصاد، عن العمل، عن كل شيء، لكن بمنطق ذكوري قضيبي، أي يصبح الكلام الفاحش جزء من خطاب المقاهي، وهو مسموح به، ما دام في بيئة ذكورية، ولذلك تستثنى الإناث من التواجد داخله، إنّ هذا الاستثناء في حد ذاته، يُعتبر تصريح من طرف الذكور بضم الإناث إليهم، أي شرفهم الذي لا يقبلون انحداره إلى مستوى خطاب المقهى، حيث عبر عنها زيجونت باومن بضم الأشياء، عن طريق استثنائها**(باومن، ز. 2016: 115)**

كما أنّ عملية التنشئة الاجتماعية، تعمل على إعادة إنشاء نفس البنية الذهنية، التي تُضمرها أنثى هذا المجتمع، باعتبار المرأة من الفاعلين الأساسيين في المجتمع، فتنطبق عليها صفة معيدة إنتاج، نفس التنشئة، **تصرح المبحوثة:**" أنا مندخلش المقهى برسكو والدينا مرباوناش هاك وماما أنا مدخلتهاش علاه ندخلها" **(ف، ش:2017/11/11)**.فيمكن إرجاع ردّات الفعل الرّافضة لدخول المقهى إلى التّنشئة الاجتماعية لهاته الإناث.

يعتبر المجتمع الأبوي هو مرادف للمجتمع التقليدي، لأنّ الأبوية هي الخاصيّة الأساسية لهذا المجتمع ،يشير النظام الأبوي بخاصّة إلى طبيعة توزيع السلطة داخل الأسرة "والأساس في هذا النظام هو هيمنة الرجل على المرأة، وهيمنة الكبار على الصغار، ممّا يعني توزيعها هرميا للسلطة على محوري الجنس والسن ويعتمد هذا النظام على بناء قرابي إذ أن هذا النظام يرتبط جذريا بالعائلة الممتدة أبويا"**(ثريا، ت. 1995: 03)** ففي هذا الصدد نجد بأن المبحثين خاضعون للسلطة الأبوية وخاصة الإناث، ويرى حليم بركات حول التواصل داخل الأسرة العربية ذات السلطة الأبوية الطبقية "يتم التواصل داخلها وفق شكلين فالأول من فوق إلى الأسفل ويأخذ طابع الأوامر والنواهي والمنع والتخويف والتجريم والحرمان، أمّا من تحت إلى فوق فيأخذ طابع الترجّي والتّجاوب والاستجابة والخوف والمشاكل و التكتم"**(حليم، ب.1984: 190)**

فإن التواصل داخل هذه البنية الاجتماعية الخاضعة للسلطة الأبوية، يغلب عليه طابع العنف الرمزي الذي يمارسه مالكو الرّأسمال الرّمزي، داخل الأسرة، بحيث يسيطر بها الكبار على الصغار، والذكور على الإناث، فالحديث عن المقهى كفضاء ذكوري لا يخرج عن هذا الإطار التّفاعلي، ليس كبناء وإنما كاستمرارية خضوع، حيث أن الخطاب السائد داخله جعله، يتحول إلى مكان خاص بالذكور، وهو حيز خاص بهم، يمكن القول أن اختراقه، من طرف العنصر المؤنث،

قد يجعله يفقد خصـــوصـــيته، بل يمكن أن يؤدّي إلى اختراق مســـافة الأمان، التي تفصـــل بين الجنسين، فكما أن الحمام هو مكان أنثوي، لا يمكن اختراقه من طرف الرجال، فالمقهى أيضا، هو عالم الرجل، الذي ينقل هو أخباره إلى إناث البيت، ليبقى مجرد مكان متخيّل بالنســـبة إليهن، ولا أمل في ولوجه، لأن دخوله يعني فقدان الأنوثة، التي تعتبر قيمة معيارية تمتلكها المرأة، وهي رأسمال يحفظ لها مكانتها داخل المجتمع، إنّ هذا الخطاب يتم إنتاجه في المقاهي، ويتم نقله أيضا عن طريق الأسـرة، وعن طريق مقولات تشـجع الذكر على أن يلج إلى المقهى، وتمنع الأنثى من حتى التفكير في التواجد داخله، وهنا نجد بيار بورديو يشـير إلى أهمية الرأسـمال اللغوي الذي لا يكف يوميا، عن مزاولة تأثيره **(بورديو، ب. : 188)**

أما فيما يخص الأنثى فهو الخضـوع التام للسـلطة، التي تفرضـها الأسـرة عليها، ففي إحدى الحالات الأنثى مستقلة عن السلطة المادية لنفسها، تملك مكانة داخل مجتمعها، لا تستطع التفرد بحريتها الخاصـة بتصـرفاتها، فخياراتها تتم وفق ما تفرضـه العائلة، والأب خاصـة، في اختيار شريكها المستقبلي، فهي وحسب تصريحها لاتزال خاضعة للسلطة الأبوية، وتتلقى الأوامر والنواهي من العائلة، لأن أبرز ما تقوم به العائلة الأبوية، هو إنشـاء الأنثى على الخضـوع لجنس الذكر، والعفة والشرف.

وعند الأنثى سـن الزواج والخروج إلى العمل كاسـتراتيجية لبناء اقتصـادي خاص، يخضـع بالدرجة الأولى إلى الآباء، "تحاط الفتاة بالجنس الآخر، يحدد لها الموانع القويّة، وتفرض عليها الرّقابة، وإذ سُـمح لها بالاختلاط، فيكون فيما يرضـى به الذّكر..." **(عزت، ح. 1985: 144)** بحيث تعتبر هذه السّلطة قوّة نظامية، مرتبطة بنسق المكانة الاجتماعية، وموافقاً عليها من جميع أعضاء الجماعة، وتعتبر هذه السّلطة موجهة لسلوك الأفراد، فالأبوية أو السّلطة الأبوية كما يشير إليها هشـام شـرابي هي محصـورة داخل الأسـرة، حيث صـرح المبحوث "أنا منقدرش نخلي أختي تـدخـل قهوة والصـــراحـة أنـا نعطيهـا الحريـة كيمـا تبغي أدير بصـــح في حـدود"**(س، ق:2017/11/14)**.

إنّ هذا المنع من دخول المقهى، ما هو إلاّ تصـــريح مبطّن، بأن ما يدور داخل المقاهي، في تيسمسيلت، هو ذكوري محض، وهو من جهة أخرى غير صالح لتستمع إليه الإناث، أو أن تشارك

فيه، فالأب، أو الأخ، أو الزوج، لا يريد أن يفقد مكانته في نظر إناث البيت، لأن صـــورته داخل المقهى تختلف تماما، عن صـــورته داخل البيت، ففي المقهى هو خاضـــع لمنطق الذّكور، وهو يســتعمل لغتهم، حركاتهم، ثقافتهم، منطقهم، أســلوبهم، وهي ممارســات في مجملها، موجهة من الذّكور لذّكور يشـــبهونهم، حيث تعتبر مفردات الذكورة والفحولة، والتعبير عنها بكل حرية، جزء أســاســي من منطق المقهى، إذ أن المظاهر الجنسـية، بين الجنسـين، هي الضــامن المسـلَّم به، للتفريق وبناء نظام اجتماعي، بين الجنسين**(بورديو، ب. 2009: 45)**

وهنا يمكن القول أن المقهى مكان قد يصـبح فيه الحديث بالاسـتعمال مفردات جنسـية، تجعل دائما الذكر في مكانة أعلى، وأخرى تجعل الأنثى في مكان أدني، أدى إلى تحوله إلى فضـــاء مقتصــر على النوع الاجتماعي الذُّكوري، واســتثناء النوع الآخر من التواجد داخله، وذلك من أجل الحفاظ على خصـوصـيته كمكان للرجال، من جهة عدم السماح لإناث المجتمع بسماع خطاب لا يليق بالشرف والعرض.

3- القهوة فضاء مؤنث وإشكالية الذكر المهيمن:

لو حاولنا مجرات فكرة المقهى كلفظ مؤنث، يحتكر جنســـا أحاديا فقط، ولذلك يمكِّن لنا فهم الصراحة الاجتماعية، والتراكمية السوسيوتاريخية لمجتمع تقليدي، مرابط على فكرة عدم تغيير نمط العلاقات والمســـايرة الثقافية المتوارثة، عبر أجيال عقبت أجيالا، فتلك جملة من التراكمات التي تضفي نوعا من رفض التحول في الصورة المادية والبنائية، ولكن على مستوى أبعد وأعمق كتحول ثقافي، فهي فكرة مستبعدة، مقارنة بما جاء من دلالات ميدانية، إذ تتضح فكرة الذكر المهيمن على الإطـار العـام للمقهى، في مجموعـة من المواصـــفات، التي تبنيهـا الجمـاعـة وتخزِّنهـا كهـابتيس اجتماعي، إذ يُجمع كل المبحثين على رفض فكرة وجود النســـاء داخل المقهى، ورغم المســـتوى العلمي للمبحوثين، إلاّ أنهم لا زالوا مخلصـــين للثقافة العربية الأبوية، والتي تقوم على الكثير من التهميش للمرأة، وأكثر حصـــارا لها **(إبراهيم، ح. 2003: 8)**، كما أنـه "هابتيس" يحكم مجمل الخصـوصـيات، سواء كان كفعل وممارسة، أو كمتخيل، والأمر الأهم هو تلقّي القبول سواء كحالة عادية أو عكسية، فالملاحظ عامة، هو وضوح إعادة إنتاج نفس المستقَّيات المعرفية الشعبية، التي تعتبر بمثابة القوانين التي تحكم الجماعة سواء على مستوى الخطاب، أو الفعل في حد ذاته، وقوة الاثنين تبرر من خلال التمثلات التي يحملها كل فاعل اجتماعي حول المقهى، أو المجال.

فالحقل الممارساتي كما يرى بورديو: يحمل خصوصيات تجعله قادرا على فرض قوانينه، وذلك عن طريق تفعيل الرأسمال الثقافي في ضبط الأفعال وترسيم التصورات، حول جملة الأفعال الصادرة، وهذا يبرز عند ربط فعل معيّن في حقل واحد، برأسمال اجتماعي معين، كالذي برز في القرائن الميدانية، كاعتبار دخول المرأة للمقهى "انحلال خلقي" "مسترجلة" " أمر غير ضروري" بمعنى ردات الفعل، ليست اعتباطية، وإنما خاضعة لما أملاه قانون الجماعة العرفي، والحقلي بصفة عامة، حيث أن المرأة لا مكان لها في المقهى كحضور جسدي، إلاّ أنّها كموضوع حاضرة، حيث أجمع المبحوثين على أن المقهى مكان للحديث عن النساء، وفي كل المجلات، حتى تلك التي تعتبر خادشة للحياء، حيث رد أحد المبحوثين "المقهى مكان للعشاق، وللحديث عن الزين"، وهنا يمكن الإشارة إلى الكبت الجنسي، وإلى أن الذكور فقط عند الاختلاء بأقرانهم، يصرحون برغباتهم، ويتحدثون عن النساء كمصدر للمتعة، إذ أنّ موضوع الجنس موضوع محرّم داخل العائلة، والحياة الجنسية يلفها غشاء من التكتم، والسرية **(هشام، ش. 1984: 43)**، إن هذا التكتم وجد المقهى كفضاء يحتويه، ويزيل ذلك الغطاء عنه، خاصة أنه فضاء يؤطره الرجال، وتحولت المرأة فيه إلى مجرد موضوع ، حالها حال المواضيع الأخرى، لكن حضورها كجسد، يعني اختراق خصوصية الرجل من جهة، ومن جهة أخرى فقدانها هي لمكانتها، التي تعتبر مرتبطة بمكانة الرجل، وأَسهُمه في سوق الفحولة والرجولة مرتبطة بمدى قدرته على التحكم في تنقلات نساء بيته، وأماكن تواجدهن.

وهنا نجد المقهى ذو الاسم المؤنث، كما أن ما يجري داخله من إعداد القهوة، وتوزيعها، وغسل الأواني، يعتبر داخل البيت، من مجال اختصاص النساء، لكنه داخل المقهى يتحول إلى فعل ذكوري، ويتحول المقهى بفعله إلى فضاء مؤنث، يحتله الذكور، ويدخلونه ضمن ملكيتهم، خاصة، إن الفضاء العام مقسم جنسيا، داخل المجتمع، انطلاقا من المنزل وإلى كل الفضاءات الاجتماعية **(بورديو، ب. 2009: 26)**

كما أنّ الإخلال بقوانين الحقل، يخلق محاولة الإقصاء الاجتماعي، سواء بضرب الرأسمال الثقافي للرجل أو الأنثى في حد ذاتها، فكل ما يربط الفاعل بحقله، فهو حتما ممكن من الاغتراب، ومجانس للفرد داخل حقله، وهذا ما يمكن أن يكون المُخضع، الأساسي لعملية إعادة إنتاج الواقع الاجتماعي، في أغلب الأحيان حتى الخطابات تصبح خاضعة لجملة من التحفظات، التي تسيَّر

جملة الأحاديث العامة في المقهى حيث يصبح من غير الضروري استهداف خطابات تمس المقدس" الأنثى" فما يصدر من تصريحات حول رفض الأنثى لولوج المقهى، هو محاولة حماية ذلك المقدس، جسد متجذر ومنتمٍ انتماء صريحا إلى جسد الجماعة، ولذلك فالأنثى وحسب المبحثين مرفوضة، كمرتادة للمقهى، أو حتى عاملة داخله، وهي مقبولة كموضوع فقط، وهذا ما أجمع عليه المبحثين، إنها رغبة في تملك المقهى، واستعماله كفضاء لإعادة إنتاج كل ما هو ذكوري، داخل المجتمع، أي فضاء عام للمواطنين، لتناول القضايا المجتمعية، لكنهم مواطنون ذكور يعتبرون الأنثى عنصر غريب، عن المقهى، أو عنصر يجب حمايته، من أنفسهم، خاصة أننا في مجتمع تقليدي، لا زال فيه الجلوس إلى أنثى يعتبر أمر محرج خاصة أمام من يكبرنا سنا، أو المعلم، أو الأستاذ، أو أي شخص نحمل نحوه نوع من التقدير، فمجتمعنا يحمل نوع من النمطية، تعني أي ذكر يجلس لأنثى هو جلوس غير أخلاقي، ويحمل مضامين وتصورات قد تحكم على الجليسيْن بسوء الأخلاق، إن هذا ما يدفع بالمجتمع الذكوري، إلى الحفاظ على آخر مساحاته الخاصة، وهي المقهى، من اختراق العنصر المؤنث له، وبالتالي إعادة ترتيبه، وإعادة ضبط نوع الخطاب السائد فيه، وهذا كله يحتم على الذكور رفض تواجد الإناث داخل المقهى، وهنا يمكن الإشارة إلى حاجات الفرد، وكيفية تحولها إلى دوافع تحرك وتتحكم في سلوك الفرد، حسب رالف لينتن (Linton Ralph)**(عبد الغاني، ع. 2006: 89)**، لذلك فإن جسد الفرد بشكل عام، وجسد المرأة على وجه الخصوص، هو في الواقع جزء لا يتجزأ من كيان الجماعة، لذلك لابد من رعايته وحفظه، كما أن المبحثين، يعتبرون ما يحدث خارج مدينتهم، أي خارج ولاية تيسمسيلت، من دخول المرأة للمقاهي، وحتى وإن كانوا هم يفعلونه، لأنهم خارج نظامهم الاجتماعي، وبعيدا عن عين الرقابة، وعن الزجر الاجتماعي، إلا انه أمر مرفوض وغير أخلاقي، وهم يتمنون أن لا يصل إلى مجتمعهم، حيث اجمعوا على عدم أخلاقية ما يحدث، إذ صرح أحد المبحوثين، ""مرأة مع راجل في القهوى تلقاها في المدن الكبار، وأنا نحس بلي قلّة تربية، ومنكونش مرتاح في قهوة مخلطة" أي أن الذّكر التيسمسيلتي يعيش حالة من الاغتراب، عند تواجده في نظام اجتماعي مغاير لنظامه، الأصلي، إذ يركز على تمييز ذاته، وعدم الثقة فيما حوله، بالإضافة إلى التشاؤم والقلق والاستياء**(حليم، ب. 2006: 36)** ولذلك هو يحاول الحفاظ على المقهى كمكان مذكر، ويؤطره الذكور، وهو يقبل أن تكون المرأة حاضرة كموضوع لا كجسد، لأن المقهى مكان لإعادة إنتاج النوع المذكر وتلقينه، كيف يتحدث الذكور وكيف يتفاخرون بفحولتهم، وكيف يشيرون

إلى رجولتهم في كل خطاباتهم، من خلال خطاب يحمل الكثير من المفردات الجنسية، التي تجعل دائما من المرأة شيء ناقصا، حيث كثيرا ما نسمع مصطلح، "**الله يذلك كي مرتي**" إنه منطق متعلق بالخضوع، والرضوخ، الذي يحكم العلاقة بين الذكر والأنثى، في مجتمع تقليدي.

الخاتمة:

من خلال هذه الدراسة، يمكن القول أن المقهى في ولاية تيسمسيلت، يعتبر فضاء عام لكن هو فضاء مخصص، أو تابع لنوع اجتماعي واحد غير معترف بالنوع الأخر، بل ينظر إليه على أنّه أحد لواحقه، وهو يحافظ عليه ويفضل إبقاؤه خارج المقهى، حيث يسود الخطاب الذكوري المحض، كما أن المقهى مكان لإعادة إنتاج ذكور المجتمع، وتلقينهم خصوصيات الذكر، وتمكينهم من حيّز خاص يتواجدون داخله، فرغم تواجد المرأة التيسمسيلتية في العمل، السوق، المطعم، الجامعة، وغيرها من الفضاءات إلاّ أنها لا تزال مقصية من فضاء المقهى رغم أنّه مكان للاستجمام، والراحة، وتناول قضايا الشأن العام لكن بمنطق ذكوري، وبخطاب ذكوري، ينزل في كثير من الأحيان إلى مستوى السوقية، وهذا ما يرفض الرجال اقتحامه من طرف النساء أي الحفاظ على هيبة المقهى كمكان مذكر، حيث تتحول فيه الأنثى بشكل عام إلى موضوع فقط، وهو موضوع يحمل الكثير من الطابوهات، أي مشبع بمفردات جنسية، وهو مكان أيضا يرسخ الهيمنة الذكورية، ويجعل المرأة في مرتبة متدنية في المجتمع، إن هذه النظرة لم يستطع حتى الطلبة كنخبة مثقفة تجاوزها وهم خاضعون لسطوة التقاليد ولهيمنة ذكورية تجعل من الشباب والأطفال والنساء في مرتبة واحدة، أي مرتبة القاصر، ولذلك فإن دخول الشباب إلى المقهى ما هو إلا محاولة للتحول إلى ذكور ناضجين، أو مكتملين، وبالتالي ممارسة الضغط، الممارس عليهم من طرف كبار السن، وعلى النساء كونهن الحلقة الأضعف في مجتمع يعرف هرمية قائمة على أساس الجنس والسن، وهنا يمكن القول أن المقهى التيسمسيلتي هو مكان للتنشئة الاجتماعية، وإعادة إنتاج نفس النمط من المجتمع.

قائمة المصادر والمراجع:

1- التركي، ثريا والزريق، هدى (1995)**تغير القيم في العائلة العربية، سلسلة الدراسات عن المرأة العربية في التنمية**. رقم 21:عمان: الأمم المتحدة، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية في غرب آسيا.

2- بيار، بورديو وباسرو نجان كلود (2007)**إعادة الإنتاج في سبيل نظرية عامة لنسق التعليم**، تر: ماهر تريمش. ط1: لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية

3- بيار بورديو(2009)**الهيمنة الذكورية**، تر: سلمان قعفراني. ط1: لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.

4- بركات، حليم (1984)**المجتمع العربي المعاصر بحث استطلاعي اجتماعي**. د(ط): بيروت لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.

5- بركات، حليم (2006)**الاغتراب في الثقافة العربية، متاهات الإنسان بين الحلم والواقع**. ط1: بيروت لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية

6- زيجمونت، باومن(2016) **الحياة السائلة**، تر: حجاج أبو حجر. ط1: لبنان: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

7- زيجمونت، باومن(2016)**الأخلاق في عصر الحداثة السائلة**، تر: سعد البازعيوبثينة الابراهيم. د(ط):الإمارات العربية المتحدة.

8- زايد، أحمد (2006)**سيكولوجية العلاقات بين الجماعات ،قضايا في الهوية الاجتماعية وتصنيف الذات**. د(ط): الكويت: دار عالم المعرفة.

9- حجازي، عزت (1985) **الشباب العربي ومشكلاته**. سلسلة دار المعرفة رقم05: الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

10- حيدري، إبراهيم(2003)**النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب**.ط1: لبنان: دار الساقي.

11- كلودين، شولي (2013)**"المحلي" الأصل والمصطلح**. العدد 04: الجزائر: مجلة إنسانيات، مركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية.

12- عماد،عبد الغني (2006) **سوسيولوجيا الثقافة المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة**. ط1: لبنان:مركز دراسات الوحدة العربية

13- علوش،نور الدين (2014)**تحولات الفضاء العمومي في الفلسفة السياسية المعاصرة: من هاربرماس إلى نانسي فرايزر**. العددان 26_27 ربيع وصيف: لبنان: مجلة إضافات، مركز دراسات الوحدة العربية.

14- شرابي، هشام (1984) **مقدمات في دراسة المجتمع العربي**. الدار المتحدة، للنشر، لبنان، الطبعة الثانية، 1984

15- شوفاليه، ستيفانو شوفيري كريستيان (2013)**معجم بورديو**، تر: الزهرة إبراهيم. ط1:سوريا: دار الجزائر.

الملاحق:

الحالة السوسيومهنية للمبحوثين (20 مبحوث)

الرقم	الجنس	السن	المستوى	الوظيفة	وسط الانحدار
01	ذكر	26	جامعي	بطال	ريفي
02	ذكر	28	جامعي	أستاذ	حضري
03	ذكر	24	جامعي	بطال	شبه حضري
04	ذكر	31	جامعي	اداري	شبه حضري
05	ذكر	28	جامعي	أستاذ	حضري
06	ذكر	22	جامعي	بطال	ريفي
07	ذكر	31	جامعي	تاجر	ريفي
08	ذكر	27	جامعي	اداري	شبه حضري
09	ذكر	26	جامعي	بطال	شبه حضري
10	ذكر	26	جامعي	بطال	حضري
11	ذكر	29	جامعي	عامل	حضري
12	ذكر	27	جامعي	بطال	شبه حضري
13	ذكر	32	جامعي	محامي	ريفي
14	ذكر	28	جامعي	شرطي	ريفي
15	ذكر	25	جامعي	شرطي	شبه حضري
16	ذكر	21	جامعي	بطال	حضري
17	ذكر	30	جامعي	محامي	ريفي
18	ذكر	29	جامعي	أستاذ	شبه حضري
19	ذكر	35	جامعي	طبيب	حضري
20	أنثى	27	جامعي	محامية	حضري